تكلفة الدراسة الجامعية وإدارة المال لدى الطالب الجامعي الجزائري – عرض حالة من جامعة تيزي وزو–

The cost of university studies and money management for the Algerian university student

إعداد: غازلي تمعزوزت نعيمة وطالح نصيرة

من جامعة ترزي–وزو

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة الواقع المادي للطالب الجزائري أمام تكلفة الدراسة الجامعية وسياسة التقشف التي تتبعها الدولة حاليا نتيجة تراجع قيمة البترول، فمن خلاله توصلنا إلى أن الطالب الجامعي الجزائري يعيش أزمة مادية حقيقية هذا ما دفعه إلى العمل خلال العطل وحتى خلال أوقات الدراسة في أماكن لا تليق مستواهم الدراسي وبدون أية ضمانات مقابل مبلغ زهيد، فطالب اليوم يجد نفسه أمام مصاريف كبيرة ينفقها من جيبه الخاص ولا يمكن الاستغناء عنها وهي تتعدى أضعافا المنحة الجامعية، وهذه المصاريف ينفقها عادة في الملبس، والمأكل، والنقل، مستلزمات الدراسة، الإنترنيت، الاتصال (بطاقات التعبئة)، وغيرها، لهذا أصبح الطالب يعتمد على مصادر عدة للحصول على الدخل منها: المنحة الجامعية رغم ضعفها، والعمل، والأسرة، حيث أصبح الطالب عبئا ثقيلا على الأسرة الجزائرية، وغيرها، وإن لم يفلح الطالب في تحقيق ذلك ينعكس سلبا على الجانب الجسدي والنفسي، والتعليمي له، وهذا يعيق تحقيق الأهداف التي نرجوها من الطالب بذلك فالجامعة أيضا لا تستطيع تحقيق أهدافها. بالتالي للوصول إلى تلك الأهداف يتطلب الأمر تكتل كل الجوانب، فعلى الطالب أن تترسخ لديه ثقافة الميزانية والاستهلاك، وعلى العائلة أن تتحمل مسؤولياتها المادية ولا تتكل على منحة الطالب، وعلى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي حماية حقوق الطالب وتخصيص منحة جامعية تتماشى مع التغيرات الاقتصادية التي تعيشها البلاد.

الكلمات المفتاحية: تكلفة الدراسة الجامعية، إدارة المال، الطالب الجامعي الجزائري.

Résumé :

Le coût des études universitaires et la gestion d'argent à un étudiant Universitaire algérien

Cette recherche vise à étudier la réalité financière des étudiants algériens, devant le coût des études Universitaires et la politique de

l'austérité poursuivi par l'État à la suite de la chute de valeur du pétrole, à travers cette recherche on' à arrivons que l'étudiant algérien vit une crise financière réelle, qui l'a poussé à travailler pendant les vacances et même pendant les heures d'étude dans des lieux conviennes pas à son niveaux d'étude, et sans aucune garantie ou assurance pour une somme dérisoire, l'étudiant d'aujourd'hui se retrouve en face de gros frais passées de sa propre poche et est indispensables au-delà exponentiellement de bourse Universitaire, ces dépenses distribué généralement entre les vêtements, la nourriture, le transport, fournitures scolaires, connexion et Internet (cartes de recharge) et d'autres, cela est devenu un étudiant dépend de plusieurs sources pour obtenir des revenus comme : la bourse d'études malgré est faible, le travail, la famille, où l'étudiant est devenu un lourd fardeau sur la famille, et d'autres, si l'étudiant n'a pas réussi à réaliser cela reflète négativement sur le côté physique et psychologique, et académique d'étudient, et cela entrave les objectifs chéries de l'étudiant, donc l'Université aussi ne pourrait pas atteindre ses objectifs. Pour atteindre ces objectifs exige que chaque exploitation jeu son rôle, l'étudiant doit prendre les principes et la culture de budget et de consommation, et la famille doit prendre ces responsabilités financières en ver l'étudient et canter pas sure sa bourse, et le ministère de l'enseignement supérieur et la recherche scientifique doit protéger les droits d'étudient et lui accorder une bourse conformément aux changements économiques vivre le pays.

Mots clés : coût des études universitaires, gestion d'argent, Etudiant Universitaire Algérien

مقدمة:

في ظل التغيرات والتحولات العلمية المتسارعة يمثل التعليم العالي أهمية كبيرة على صعيد تقدم المجتمعات ونموها، حيث تعتبر الجامعات في مختلف دول العالم المتقدم والنامي أساسا من أسس تطوير وخدمة المجتمع على قواعد ومعايير علمية وسليمة، فهي من ناحية تقوم بإعداد القوى البشرية المؤهلة وعلماء ومثقفين وباحثين تأهيلا عاليا للعمل في شتى قطاعات المجتمع، ومن ناحية أخرى وضع خطط التنمية للنهوض بالمجتمع، إضافة إلى هذا فهي الوسيلة التي يتم بها نشر المعرفة من خلال التدريس، والإنتاج من خلال البحث العلمي في كل المجالات والعلوم التطبيقية والإنسانية، وتوظيف المعرفة من خلال إيجاد الحلول الموضوعية لقضايا التنمية والبيئة الإنسانية أو خدمة المجتمع بصفة عامة.

ولتحقيق كل هذه الأهداف هناك عدة جوانب تساهم في ذلك من بينها الجانب البشري على رأسهم الطلبة، فبدون الطلبة لا وجود للجامعة، بالتالي التكفل الجيد بهم من كل

النواحي يضمن النجاح الأكاديمي وتطور البحث العلمي للجامعة، ومن بين الجوانب التي يعاني منها الطالب الجزائري حاليا هو الجانب المادي، خاصة مع سياسة التقشف التي تتبعا الدولة أمام انخفاض أسعار المحروقات. ومن هذا المنطلق سنحاول من خلال هذا البحث معرفة الواقع المادي للطالب الجامعي الجزائري، مصادر الدخل وطريقة التسيير أمام سياسة التقشف التي تأثر على الطالب الجامعي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

لقد عرفت الدولة الجزائرية تحولات في مختلف المجالات والميادين جاءت نتاج مجموعة تحولات عرفها العالم أجمع سميت بالعولمة، وبحكم أن الجزائر هي إحدى دول العالم وجب عليها الخضوع لواقع العالم مخيرة أو مجبرة، وهذا ما كان مع الجامعة الجزائرية، فمحاولة الجامعة الجزائرية مسايرة جامعات العالم ليس بالأمر الهين لأنه لا يتوقف الأمر في مسايرتها فقط في المنهج أو النظام المطبق، بل يتوقف أيضا في توفير الظروف الضرورية لتسهيل ذلك على الطالب الجزائري، بخاصة من الناحية المادية حيث نجده يربط الدراسة بالعمل لرفع وضعه المادي بدل فكرة الدراسة من أجل البحث العلمي، فأغلبية الطلبة الجزائريين إذا سألناهم عن الغاية من تواجدهم في الجامعة تكون أغلب الإجابات هي من أجل التخرج والحصول على شهادة للعمل بها.

رغم أنّ الجامعة الجزائرية تنادي بمجانية التعليم من جهة إلا أنه من جهة أخرى نجد الطالب الجامعي الجزائري وأسرته أمام مصاريف لا يستطيع الاستغناء عنها، أحيانا لا يستطيع تلبيتها كلها وبسهولة، وهذا ما يعيق بطريقة أو بأخرى السير الفعال في مشواره الدراسي، رغم المنحة التي تخصصها الدولة للطالب، وهذا ما تدعمه نتائج الدراسة التي قام بها النائب "علي براهيمي" عن التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية حول المنحة الجامعية تحت عنوان "الطالب الجامعي يكلف العائلة الجزائرية نفقات بخمسة (05) ألاف دينار شهريا"، حيث كشفت هذه الدراسة حول المنحة الجامعية أنّ الأسرة الجزائرية تصرف شهريا مبلغ قيمته خمسة ألاف ومائة وخمس وثلاثين (5135) دينار جزائري على أبنائهم الطلبة لسد حاجياتهم المتنوعة بسبب ضعف المنحة، والهدف من هذه الدراسة هو طلب رفع قيمة هذه المنحة التي لم تعرف طيلة أربع وعشرين (24) سنة الماضية زيادات لا تتجاوز ثلاث مئة (300) دينار جزائري، وصرح "براهيمي" أن هذه الدراسة أو التحقيق الذي قام به جاء بعد تلقيه شكاوي من الطلبة بعدة جامعات حول ضعف قيمة المنحة الجامعية، مقارنة بحاجيات الطالب الأساسية، مضيفا أنه

في مدة أربع وعشرين (24) سنة أي منذ عام 1983، حيث كانت المنحة ست مئة (600) دينار جزائري شهريا قبل أن تنتقل إلى سبع مئة (700) دينار جزائري عام 1990، وتسع مئة (900) دينار جزائري في 2001، وعرفت هذه المنحة زيادة ثلاث مئة (300) دينار جزائري فقط، وهذا بشكل لا يتناسب حسبه مع تزايد الحاجيات الأساسية للطالب.

وخلال إجرائه لتحقيق ميداني يقول النائب "براهيمي" أنّ الطالب الجامعي يصرف يوميا ثلاثين (30) دينار كوجبة إفطار، بحكم أنّ خمسة عشر بالمائة (15%) فقط من الطلبة يتناولون هذه الوجبة في المطعم الجامعي حسب إحصائيات ديوان الخدمات الجامعية، إلى جانب ثلاثين (30) دينار لوجبة مسائية "لمجة" غير الموجودة في الجامعة، وكذا عشرين (20) دينار لتناول المشروبات، وبجمع هذه الوجبات يصبح الطالب أمام مصاريف شهرية تصل إلى ألفين وأربع مئة (2400) دينار يخصصها من جيبه الخاص للإطعام (عبد الرزاق بو القمح، 2008)، وحسب خبرتنا الطويلة في الجامعة كطلبة ثم كموظفين (أساتذة) ما يجعل الطالب الجامعي يصرف هذه المصاريف من جيبه في الإطعام ولا يستغل حقه في ذلك بالمطعم الجامعي هو راجع إلى عدة أسباب أهمها: الوجبات المقدمة لا ترقى إلى مصاف الوجبات الصحية، الطابورات الطويلة التي تأخذ كل وقت الطالب، غالبا هذا نتيجة كسل الموظفين، أو ما هو ملاحظ أن معظم الأشخاص المتواجدين في الطابورات ليسوا طلبة إنما من كل شرائح المجتمع وهذا راجع إلى غياب الرقابة، وهذه الظاهرة نشاهدها في كل جامعات الوطن، إضافة إلى برمجة الإدارة ساعات الدراسة في أوقات الإفطار، ورداءة الأكل، وغياب النظافة، غياب مصادر الأكل وتواريخ الحفظ أحيانا، خاصة المأكولات المعلبة، مثل: الجبن له ذوق ورائحة غريبة، اللحم المجمد حيث يجهل الطالب مصدره ونوعه لغرابة لونه وشكله ومذاقه، أحيانا لا تستطيع الأسنان تقطيعه لشدة يبسه، وغير ذلك، إعادة تقديم الأكل المتبقي من الوجبات السابقة، وآخرها أن تنظيف الطاولات عادة يكون بالمكنسة التي تنظف بها الأرض، وغيرها من الأسباب ، كل ذلك دفع بالطالب إلى تخصيص مصاريف للإفطار خارج الجامعة، أو شراء لوازم الطبخ كالخضر والعجائن لطبخها داخل غرف النوم، دون أن ننسى شراء الحليب وما يرافقه لعدم تناول أغلبية الطلبة الوجبة الصباحية المقدمة في الإقامات الجامعية لاعتبارات عدة منها: يصعب عليه النهوض باكرا من أجل ذلك، نوع الحليب ليس جيد، ما يرافقه ليس في المستوى، وغيرها، إضافة إلى أنّ الجامعة لا تقدم لمجة للطلبة أو كما تسمى بقهوة المساء

التي عادة الجزائري لا يستطيع الاستغناء عنها.

أما بالنسبة للحاجيات الصحية، فيؤكد صاحب التحقيق السابق أنّ الإقامات الجامعية تفتقر للمرافق الصحية على غرار طبيب الأسنان، وبالتالي فالطالب مجبر حسب الباحث على تخصيص مصاريف مئة وخمسين (150) دينار لهذا الجانب، ومصاريف النظافة الأخرى (عبد الرزاق بو القمح، 2008)، وهذا ما لاحظناه في جامعة تيزي وزو، انعدام المرافق الصحية في الجامعات خاصة في معاهد الدراسة، حيث يكتفون فقط بتوفير سيارة إسعاف واحد دون وضعهم في الحسبان أهمية تواجد المرافق الصحية للحالات المستعجلة، لأنّ هناك بعض المعاهد بعيدة عن المستشفى الجامعي، أما الإقامات الجامعية رغم توفر المرافق الصحية إلا أن هناك نقص في المختصين، أحيانا نجد فقط ممرضة وطبيب أسنان، أو طبيب عام، وغير ذلك وتجدهم لا يحترمون أوقات العمل خاصة في الليل، وفي بعض الأحيان يكون هناك نقص أو غياب في الأدوية، لهذا الطالب مجبر على الاعتماد على مصروفه الخاص في العلاج، إضافة إلى مصاريف شهرية تقدر بألف وست مئة وعشرين (1620) دينار للباس، أي بمعدل تسعة عشر ألف وأربع مئة وأربعين (19440) دينار سنويا للطالب الواحد، ويكون مصدرها غالبا الأسرة، والمنحة الجامعية، والعمل، وغيرها من المصادر (عبد الرزاق بو القمح، 2008)، وفي هذا الصدد قام "بوتقرابت رشيد" بدراسة ميدانية حول ظاهرة الاهتمام باللباس لدى الشباب الجامعي – طلبة جامعة بوزريعة الجزائر- فتبين أنّ أغلبية الطلبة أحيانا ما يعتمدون ماديا على مساعدة عائلاتهم، وذلك بنسبة 34% ، ثم تليها فئة يعتمدون عليها نادرا بنسبة 30%، ونسبة 27% دائما، واستنتج الباحث أنّ الطلبة في السنوات الدراسية الأولى يكونون بحاجة إلى المساعدة المالية الدائمة من طرف العائلة، بصفتهم طلبة جدد في الجامعة، وهذه الأخيرة تعتبر عالم جديد بالنسبة إليهم، وبالتالي هم في حاجة إلى إبراز مكانتهم كطلبة، ومن خلال هذا يتم تحقيق الذات وخلق علاقات جديدة، وبالتالي يستوجب هذا حسن المظهر (اللباس)، وما يجعل طلبة السنة الأولى يقلل من حظوظهم في العمل هو الدروس المكثفة في السنوات الدراسية الأولى والحضور الإجباري، على العكس بالنسبة لطلبة السنوات النهائية أو التخرج، حيث لديهم بعض الوقت لممارسة بعض الأعمال والنشطات، وبالتالي يكونون مستقلين ماليا نوعا ما عن عائلاتهم، وعليه تكون المساعدة المالية العائلية ظرفية وليست دائمة، وما هو ملاحظ أنّ الطلبة خاصة في السنوات الأولى يهتمون بمظهرهم الخارجي كثيرا

هذا ما جعلهم يهتمون بالموضة والملابس المستوردة والماركات العالمية، كل ذلك يرفع من فتورة شراء الملابس، لكن كلما اقترب الطلبة من التخرج قل اهتمامهم بذلك، وتقدمه في السن يجعله يفكر في أشياء أكثر جدية وأهمية، حيث يحمّل لنفسه بعض المسؤوليات، وبينت الدراسة أيضا أنّ الطلبة يقتنون من منحهم الدراسية أشياء مختلفة منها اللباس بنسبة 56% للسنة الأولى، و68% للسنة الرابعة، أما مستلزمات الدراسة بـ 13% للسنة الأولى و7% للسنة الرابعة، بالتالي الطلبة لا يعتمدون كليا على المنحة الدراسية لشراء الملابس وذلك لقلة قيمتها والتي تقدر بـ 4050دج مقارنة بالاحتياجات من اللباس، خاصة أنّ الطلبة يقتنون اللباس العصري رغم غلائه، كذلك شراء الطلبة للباس كل فصل يتطلب قيمة مالية معتبرة أكثر من قيمة المنحة بكثير، بالتالي المنحة تعتبر إعانة فقط لشراء الملابس إلى جانب مصادر أخرى، وهناك من يخصصها للمصاريف اليومية الأخرى كالنقل، المأكولات مثل البيزا، والسوندويشات والمشروبات، الاتصالات، بطاقات التعبئة، بعض مواد التجميل، مزيل الروائح، مثبت الشعر، وغيرها، حيث يعتبرونها الطلبة من الضروريات (بوتقرابت رشيد،2007)، ونفس الشيء للمصاريف شبه البيداغوجية مثل: الإنترنيت والتي قدرها النائب "براهيمي" بثلاث مئة (300) دينار شهريا (عبد الرزاق بو القمح، 2008)، فرغم توفر الإنترنيت في بعض الجامعات لكن يجد الطالب نفسه في بعض الأحيان مجبر على استعمال الإنترنيت خارج الجامعة ضرورة محتومة لاعتبارات عدة منها: ثقل أو غياب الإنترنيت، عدم توفر الوقت في أيام الأسبوع بسبب اكتظاظ جداول التوقيت، أحيانا يكون للطالب فراغ في وقت غلق القاعات الخاصة بالإنترنيت مثلا: أوقات الإفطار حتى الساعة الثانية من الزوال وفي المساء بعد الساعة الرابعة، ملأ القاعات، التواجد في أماكن بعيدة عن الجامعة مثلا: المنزل، والحاجة إليها في أيام العطل –آخر الأسبوع– وغيرها من الأسباب، وهذا ما يجعل طالب اليوم يرى أنّ امتلاك الحاسوب النقال من الضروريات وشرائه أصبح مستحيلا إن لم تشتريه الأسرة أو كان الطالب عاملا أثناء العطل، إضافة إلى النفقات البيداغوجية مثل: نسخ الدروس التي تصل شهريا سبع مئة (700) دينار، دون نسيان الطبع كطبع المذكرات، طبع العروض أحيانا، رغم أنه في كثير من الأحيان يرفض الطالب ذلك لغلائه، إضافة إلى مصاريف النقل بحكم أنّ أغلب الطلبة يدرسون بعيدا عن مقر سكنهم، والتي قدرها صاحب التحقيق بسبع مئة (700) دينار شهريا، مؤكدا أنّ هذه القيمة تمثل الحد الأدنى لمصاريف

النقل، وأنّ طلبة الجنوب يعانون من قضية النقل بسبب غلاء التذاكر، رغم أنّ الدولة وضعت ميزانية خاصة للمواصلات الجامعية سواء الخاصة بالمواصلات بين الأقطاب الجامعية في الولاية الواحدة، أو الخاصة بالمواصلات بين الجامعة وموقع السكن بالنسبة للطلبة غير القاطنين في الإقامات الجامعية، فالطالب وعائلته يتحملون مصاريف النقل الأخرى، كالخاصة بالتنقل كل أسبوع بين الجامعة ومقر السكن الذي يكون بعيدا، لهذا نجد بعض الطلبة يمضون ثلاث أسابيع أو شهر كامل، أحيانا أكثر في الإقامة الجامعية لتفادي هذه المصاريف، أو التنقل بين الجامعة ومقر الإقامة الجامعية في وسائل النقل الخاصة لسبب أو لآخر كالمدة الطويلة التي يستغرقها الطالب في انتظار قدوم حافلة نقل الطلبة، واكتظاظ الطلبة مما يسبب الدفع والشجار عند الدخول، وهذا يؤدي إلى عدم الوصول في الوقت المناسب إلى الحصص، يرجع ذلك إما لقلة الحافلات أو عدم احترام أصحابها أوقات العمل، أو هروبهم كلية، خاصة في الفترة المسائية، وما لحضناه أيضا من خلال خبرتنا الصغير كأساتذة في جامعة تيزي-وزو أنّ البرمجة غير التوافقية بين جداول توقيت الحافلات، خاصة التي تنقل الطلبة إلى مقر سكناهم مع جداول توقيت الطلبة، خاصة في الساعات المسائية وفي نهاية الأسبوع يؤثر سلبا في سير الدروس وعملية التعليم، حيث يجعل الطالب يغيب عن هذه الحصص، أو عدم الاهتمام بالدرس واضطرابه لشدة خوفه من أن تفوته الحافلة، لدرجة أنّ الطلبة يلحون على الأستاذ للسماح لهم بالخروج قبل الوقت (الخروج قبل نصف ساعة مثلا: على الساعة الرابعة مساءا لأن الحافلة تنطلق في هذه الساعة، والحصة تنتهي على الساعة الرابعة ونصف) وهذا يضطرب السير العادي للحصة.

أما قطاع النقل إذا عرف نقصا بسبب قلة الحافلات، فهذا يعود إما لأنّ التصريح بالعدد كاذب، مثلا الجامعة تتعاقد مع صاحب شركة لديه مائة (100) حافلة ولكن في الحقيقة نجد العدد لا يتعدى أربعين (40) على الأكثر، مع العلم أنّ الدولة تقوم بإعطاء حوالي خمسة عشر (15) ألف دينار لكل حافلة على كل يوم، أو هروب حافلات النقل عند غياب الرقابة، فيضطر الكثير من الطلبة إلى التنقل في وسائل النقل غير الجامعية بأموالهم الخاصة.

وتصل قيمة هذه المصاريف الشهرية للطالب الجامعي اليوم حسب "براهيمي" إلى ستة ألاف وخمس وثلاثون (6035) دينارا، وبالتالي فإسقاط قيمة المنحة الجامعية من هذا المبلغ وهي تسع مئة (900) دينارا شهريا يجعل من الأسرة الجزائرية تتحمل باقي المصاريف

على ابنها أو ابنتها بالجامعة، وهي خمسة ألاف ومائة وخمس وثلاثين (5135) دينارا شهريا، وهو واقع يعني حسب صاحب الدراسة أن ربّ العائلة يصرف أكثر من نصف الأجر الوطني المضمون على ابنه الجامعي (عبد الرزاق بو القمح، 2008).

كشف "الطاهر حجار" وزير التعليم العالي والبحث العلمي أن ميزانية تسيير قطاعه سجل ارتفاعا بنسبة 3.93 بالمائة في إطار مشروع المالية لسنة 2016، أي ما يعادل ثلاث مائة واثنان وخمسين (352) مليار دينار، رغم سياسة التقشف التي تبنتها الدولة.

ومصطلح "التقشف" يعني حسب معجم المعاني الجامع (معجم عربي عربي) مصطلح تقشف جاء من الفعل تقشَّف، مصدر تقشُّف، يعيش في تقشُّف شديد: في زهيد، بساطة في العيش وانصراف عن الملذات والنعم، دخلت البلاد في مرحلة تقشُّف: أي ترك الإسراف والاستهلاك والاكتفاء بما هو ضروري، أما سياسة التقشف: (الاقتصاد) هي سياسة تهدف إلى تخفيض النفقات وتقييد طريقة المعيشة، وفي المعجم العربي الفرنسي (Reverso Dictionaire) تقشُف يعني "austérité"، لكن يبقى المشكل هل يتم تدبير ميزانية التعليم العالي جيدا، إنّ الواقع يبين أنّ نسبة كبيرة من هذه القيمة لا تصل الطالب لاعتبارات عدة ذكرت البعض منها مسبقا، منها أيضا: تضخيم فواتير التموين في الجامعات، والمطاعم الجامعية أصبحت موائد الرحمان لكل من هب ودب، وهي في الحقيقة حق الطالب، السرقة من العمال الطباخين والحراس، وخاصة بعض المنظمات الطلابية التي تتفق مع رؤساء المطاعم لسرقة الكثير من المواد الغذائية وإعادة بيعها، وغير ذلك.

هذا الوضع كله دفع الطالب الجامعي الجزائري إلى العمل في العطل، والأكثر غرابة أصبح يعمل بالتزامن مع أيام الدراسة، وذلك مقابل مبلغ مالي ولو كان زهيدا والعمل في أماكن ووظائف لا تليق بمستواه الدراسي، وهي وظائف مؤقتة، ودون عقود وضمان اجتماعي، في هذا الصدد قامت الصحفية "منيرة ابتسام طوبالي" بالتقرب إلى الطلبة واستطلعت آراء بعضهم حول الموضوع في خرجة ميدانية "للمحور اليومي" قادتها إلى مختلف الجامعات الجزائرية لاستطلاع آراء الطلبة حول التوفيق بين العمل والدراسة، فكانت جامعة الجزائر أول محطة لها، حيث قابلت العديد من الطلاب يدرسون ويعملون في نفس الوقت، منهم "أحمد" طالب سنة ثالثة جامعي تخصص إذاعة وتلفزيون يقول إنّ الشاب الذي ينتمي إلى الطبقة المتوسطة أو الفقيرة يضطر للعمل حتى ساعات متأخرة من الليل لكي يؤمن

مصروف جيبه ودراسته الجامعية، مما يشكل ضغطا عليه، فبدل من تخصيص بعض الوقت للترفيه عن النفس قبل الالتزام بمسؤوليات أكبر عند التقدم في العمر، أو حتى قبل معاودة الدراسة، يضطر شاب اليوم إلى استغلال الوقت والفرصة لجمع المال الذي يغنيه السؤال والحاجة في سنتهم الدراسية، كما أضاف "أحمد": "لقد تعودت من قبل على استغلال العطلة الصيفية في العمل منذ أن كنت طالبا في الثانوية، واضطررت فعل ذلك حتى وأنا في الجامعة، لأنّ المنحة الجامعية لا تسمن ولا تغني من جوع"، من جهته أضاف الطالب "سليم" أنّ التوفيق بين العمل والدراسة ليس بالأمر الهين، إذ أنّ التعب الناتج عن العمل الذي يستمر حتى ساعات متأخرة من الليل يشكل عائقا في مزاولة الدراسة الذي يغيب عنها النشاط، ويحل محله الكسل نتيجة التعب، من جهتها الآنسة "ليلى" طالبة في السنة الثانية ماستر قالت: "اعتدت على العمل منذ دخولي الجامعة، خصوصا في العطل الصيفية، وتعددت الأعمال التي قمت بها لأعيل نفسي وعائلتي، بدأت كعاملة في قاعة الحفلات خلال موسم الأعراس، وكذلك بالمحلات المتخصصة ببيع الملابس تحضيرا للدخول الموسم الجامعي، فراتب والدي الشهري لا يكفي لتغطية مصاريف الدراسة، فمن جراء عملي في قاعة الحفلات خلال ثلاث عطل متتالية تمكنت من اقتناء كمبيوتر، ناهيك عن المصروف واللوازم اليومية، لذا فأنا لا أمانع في مواصلة نشاطي والعمل في مختلف الميادين، وبالتزامن مع أيام الدراسة، شريطة ألا أهمل دراستي"، ثم انتقلت إلى جامعة الجزائر 1 كلية الحقوق أين وجدَت مجموعة من الطلبة يتبادلون الحديث، فكانت إجاباتهم حول الموضوع كلها متشابهة، حيث أجمع أغلبهم على أنّ عمل الطالب لا مفر منه في الظروف الاقتصادية الراهنة ولو كان ذلك على حساب صحته، فضلا عن العمل في مكان لا يناسب مستواه الدراسي، فأحدهم كان يعمل نادلا في أحد المقاهي، وأخرى تعمل مساعدة في صالون الحلاقة، وغير ذلك (منيرة ابتسام طوبالي، 2015)، ربما ما يدفع أيضا الطالب إلى العمل هي طموحاته الكبير في اقتناء أجود الأشياء كالملابس، شراء الهواتف النقالة، واللوحات الاليكترونية، والكمبيوتر، وهناك البعض للقيام بتربصات أو تكوين (Formations) في مدارس خاصة أو جمعيات والحصول على شهادات لتدعيم تكوينهم الجامعي.

لكن رغم كل هذا لا يعني أنّنا نحمل وزارة التعليم العالي كل هذه المصاريف بل يكون هناك تعاون بينها وبين أسرة الطالب، مع ترسيخ ثقافة الميزانية والاستهلاك لدى هذا

الأخير، فالوزارة مطالبة بالمتابعة المستمرة لنوعية وكمية الخدمات المقدمة في الجامعة لتفادي الطالب مصاريف الأكل والنقل والمسكن داخل الجامعة، والأسرة تتكفل بذلك خارجها، وتتكفل أيضا بالملبس، وجعل المنحة الجامعية في مستوى المتطلبات الأساسية للطالب، لكن ما هو ملاحظ أنّ بعض الأسر لا تسرف على أبنائها عند دخولهم الجامعة لاتكالهم الكلي على المنحة الجامعية التي يحصلون عليها، مما يجعل الطالب في وضعية حرجة خاصة في السنوات الأولى أين تغيب عليه الخبرة في تسيير الأموال، لأنّ ما لاحظناه أنّ نسبة ضئيلة جدا تنفق في مستلزمات الدراسة إما التخصص لا يتطلب ذلك كتخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية، اللغات، وغيرها، وإما اللامبالاة من الطالب بالرغم من أن بعض التخصصات التطبيقية تتطلب بعض الأدوات باهظة الثمن بالنسبة للطالب كتخصص البناء والعمران، الطب، التكنولوجيا، وغيرها، حيث ينفقون نسبة أكبر من الأموال على الملبس، والمأكل، والأشياء الثانوية، والوسائل الإلكترونية ذات الجودة العالية، بالتالي على الأسرة أنّ تتحمل مسؤوليتها الجزئية اتجاه هذه المصاريف وعلى الطالب أن يكون على وعي في طريقة تصريف الأموال وذلك بالاكتفاء بالضروريات والاستغناء عن الثانويات، من هنا نجد أنفسنا أمام تساؤل مهم ألا وهو: هل نحن في سياسة تقشف تزو بزوال الأزمة الاقتصادية العالمية أو في ترسيخ ثقافة الاستهلاك التي نستغني عنها بعد مدة زمنية؟. رغم ذلك يبقى عدم الاكتفاء الذاتي من الناحية المادية لدى الطلبة الجامعين تأثيرات مباشرة أو غير مباشرة على حالتهم النفسية والجسدية، وعلى نتائجهم الدراسية، بالتالي يؤثر بدوره على تحقيق الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها الجامعة، أهمها تطوير البحث العلمي.

والآن سيتم عرض حالة من جامعة تيزي-وزو تدرس في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الحالة "ن" طالبة في السنة الأولى تدرس في جذع مشترك علوم إنسانية، وتم الاعتماد في دراسة هذه الحالة على المنهج العيادي الذي يعتمد على دراسة حالة، بالاعتماد على وسيلة واحدة لجمع البيانات وهي المقابلة العيادية نصف الموجهة، وكان هدفنا هو معرفة الوضع المادي لها، مصدره، كيفية إنفاقه، تقييمها له، أثر ذلك على حالتهما النفسية والبدنية، والدراسية، وما هي أمنياتها وطموحاتها المستقبلية.

عرض الحالة: حالة "ن"

1- تقديم الحالة:

"ن" طالبة في السنة الأولى جذع مشترك علوم إنسانية، تبلغ من العمر تسعة عشر (19) سنة، تقطن في قرية تبعد حوالي 50 كم من غرب ولاية تيزي-وزو، تعيش في أسرة متوسطة الدخل، تتكون من الأبوين وأربعة إخوة وأختين، غير أنّ في الوقت الحالي كلتا الأختين متزوجتين لهما مستوى تعليم جامعي وتمارسان مهنة التدريس، وأخوين تزوجا أحدهما ذو مستوى جامعي وهو خارج البلاد، أما الآخر تزوج حديثا مازال يعيش مع عائلته، بينما الاثنين الآخرين يعملان، واحد لحسابه الخاص، والآخر في عمل حر، يتواجدان في المنزل فقط في آخر الأسبوع، والأب متقاعد والأم ماكثة في البيت.

2- نتائج المقابلة العيادية:

الحالة "ن" دخلت الجامعة وطموحاتها كبيرة خاصة من الناحية المادية، حيث صرحت أنها كانت في الثانوية يصرف عليها أبوها وليس لها الحرية التامة في اختيار مستلزماتها، الدليل على ذلك الأب لا يمنحها المال لشراء مستلزماتها بنفسها إلا نادرا، ولا يعطي لها أيّ مصروف إضافي، وعندما التحقت بالجامعة أعطى لها الحرية التامة في اقتناء مستلزماتها لكن مقابل ذلك اتكل في ذلك على المنحة الجامعية، إلا في حالات تأخر وصول هذه الأخيرة، وفي كل مرة تطلب منه المال لشراء شيء ما، تكون دائما الإجابة حسب الحالة "منحة La bourse" أي: "لك منحة جامعية"، وكان يسأل عنها في كل مرة، حتى وصفت ذلك الحالة: "الأجرة La paie " أي: "كأنها دخل شهري"، وهذا ويجعلها متذمرة كثيرا مضطربة نفسيا، حيث لاحظنا ذلك في نبرة صوتها الخشن والمضطرب، وعيناها المليئتان بالدموع واحمرار وجهها، وعندما سألناها عن سبب تذمرها صرحت بأنّ المنحة الجامعية غير كافية لكل مصاريفها من مأكل، وملبس، ونقل، ومستلزماتها اليومية، وحينما سألناها عن مصدر مصاريفها قالت: أنه إضافة إلى المنحة الجامعية، هناك مصروف الأب الذي لا يمنحه لها إلا بعد تأكده من إنفاق كل منحتها الجامعية، كان يمنحها عادة حوالي ست مئة دينارا، علما أنها تمكث في الإقامة الجامعية لمدة أسبوع، وتبلغ قيمة النقل من مكان السكن إلى الجامعة ذهابا وإيابا حوالي ثلاث مئة دينارا، وهذا يعتبر غير كافيا، ولسد ذلك النقص كانت أحد الأخوات تمنحها في كل مرة مبلغ مالي للاستعمال اليومي أقصاه ألفين دينارا (2000)، وفي بعض الأحيان تشتري لها بعض المستلزمات التي ترى أنها بحاجة ماسة لها كالملابس الداخلية، أحذية، وغيرها، حسب مقدورها، وأحيانا يقوم الأخ الأصغر بمنحها مبلغ مالي حيث لا

يتعدى خمس مئة (500) دينارا، لكن دون علم الأب، وأرجعت الحالة سبب ذلك أنها تخاف أن يمتنع من تقديم المصاريف التي اعتاد تقديمها لها ويتكل على إخوتها، ولأنه يحاسبها على كل سنتيم تنفقه،

أما الإخوة الآخرين غير مبالين بوضعها المادي، وسألنا الحالة "ن" عن كيفية إنفاق هذه الأموال التي تتحصل عليها من هنا وهناك، قالت: بأنها عادة المنحة الجامعية تستخدمها لشراء الملابس، والمصاريف الأخرى تستعملها في شراء الأدوية الخفيفة مثل: مهدئات الأسنان، والحمى، وأوجاع الرأس، وغيرها، وإذا كان المرض أخطر كان الأب يدفع لها مصاريف العلاج، أو استعمالها في النقل، أو شراء مستلزمات الدراسة مثل: الكراريس، الأوراق، الأقلام، وغيرها، والإنترنيت، وبطاقات التعبئة، ونادرا ما تصرف على الأكل، رغم رداءة ذلك في المطعم الجامعي، حسب ما أدلت به كانت لا تشرب حليب الصباح لأنه ليس جيد ولديه رائحة غريبة ومذاق مقزز إضافة أنه ينوم، تكتفي فقط بأكل علبة أو علبتين ياغوت مع الخبز تأخذهما من المطعم بعد إعادة الطابور يوم أمس، أو تأخذ في الصباح ما يرافق الحليب عادة "بان شوكو" أو "كرواصو" بإعادة الطابور تأكله في يومين مع الياغورت، أحيانا أخرى لا تأكل شيئا حتى وقت الغذاء فتتغذى في مطعم الجامعة رغم أنه وصفته بـ "Immangeable أي: "لا يأكل"، فسألناها، "إذن كيف تأكلينه؟" قالت بأن الجوع لا يختار، وأضافت أنها عادة عند الوجبات تارة تأكل فقط الفاكهة والخبز مع السلاطة إن كانت نظيفة، وتارة أخرى تأكل من الطبق الرئيسي ولا تبالي بالنوعية، لأنه عادة تكون السلاطة مليئة بالطين والحشرات، والطبق الرئيسي فيه خضر غير مقشرة، وغير ذلك، وفي حالات أخرى تدرس في ساعات افتتاح المطعم لهذا تأخذ من المنزل البيض والحليب وبعض الأشياء الأخرى لتطبخها وتتناولها عند عودتها إلى غرفة نومها في الإقامة الجامعية، رغم أنّ الخبز يكون ذلك الذي أخذته من المطعم البارحة، السبب حسب الحالة أنّ ليس لديها المصروف الكافي لشراء الأكل من الخارج لأنه غالي الثمن.

وحسب هيئتها كانت متوسطة السمنة تبدو صحتها جيدة، وبما أنها كانت تلبس حجابا غير شرعي كان هندامها متوسطا أيضا ملابسها ليست مكلفة كثيرا، كانت تلبس روبة، وخمار، وأحذية، وحقيبة، وساعة دون أية أساور، أو مجوهرات، والحالة بدت غير مكلفة تبحث فقط عن تلبية الأشياء المهمة، حسب قولها: " l'essentielle" أي: "أبحث فقط عن

المهم"، وسألناها عن حالتها النفسية إزاء ذلك قالت بأنها دائما قلقة وتحت ضغط لشدة الحسابات، لأنها في بعض الأحيان ترغب في شراء بعض الأشياء أو القيام ببعض الأعمال لكن تجد المال الغير الكافي عائقا أمامها، وأحيانا أخرى تشعر بتقدير ذات منخفض غاصة أنّ الصديقة المقربة لها تدرس عند الخواص للحصول على شهادة كبائعة في الصيدلة للعمل بها، وهي لا تستطيع ذلك لعدم توفر المال لديها.

وعندما سألناها لماذا لا تعمل ردت بأن ليس لديها وقت لذلك لاكتظاظ جدول توقيتها، وتضن أنّ أبوها وإخوتها لا يقبلون ذلك لأنّ أختها التي تساعدها ماديا كانت بائعة في متجر الملابس خلال دراستها فعارضوها، وأضافت الحالة أنه رغم ذلك واصلت أختها العمل كبائعة في متجر من خلاله تحصلت على مال دفعت به رخصة السياقة، وتحصلت على شهادة في الإعلام الآلي من مدرسة خاصة، وعند حصولها على شهادة التخرج اجتازت عدة مسابقات للتوظيف، لأن ذلك يتطلب مال للتنقل ولدفع الملفات وغيرها من المصاريف، في الأخير قالت: "عندها الحق"، فقلنا لها: "أنت أيضا يمكنك القيام بذلك"، فردت بأنها لا تستطيع لأنها الصغرى في المنزل وتخافهم، ولا يأخذون رأيها بعين الاعتبار، قالت: "على الأقل لو يكون في مجال الدراسة"، ثم سألناها عن مدى تأثير ذلك على دراستها، فقالت بأنه يؤثر فعلا، لأنها إذا لم تأكل جيدا (الفطور و الغذاء) ولم تلبس جيدا (الشتاء) تمرض من ناحية وتنهار نفسيا من ناحية أخرى، وهذا يؤرقها ويقلل من نشاطها وتركيزها، حتى أنه يعكر مزاجها وهذا ما يحصل لها أحيانا، أحيانا أخرى يدفعها إلى الغياب من الحصص، كل ذلك يبين أنّ الحالة "ن" غير راضية بتاتا عن وضعها المادي، وتوصلت أنه من الصعب أخذ مسؤولية كهذه، وتتمنى في الأخير أن يلتفت إليها إخوتها الآخرين ولو قليلا، ويفهم الأب أنّ الجامعة لا تتكفل بكل المصاريف الخاصة بالطالب الجامعي، ويعرف أنّ ابنته التي كانت يوما ما يراها طفلة تدرس في المدرسة —الثانوية– أصبحت الآن امرأة لديها الكثير من المستلزمات، من جهة أخرى تتمنى من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي أن ترفع ولو قليلا من قيمة المنحة الجامعية، وفي الأخير تطمح أن تنهي الدراسة وتتحصل على منصب عمل ينهي لها كل هذه المعاناة، في هذا الصدد قالت: "نعمل لكي نتخلص من الفقر الذي نعيشه".

فتبقى هذه الحالة واحدة من بين الطلبة الكثيرين الذين يعانون نفس الوضعية أو أكثر منها، ويمكن أن نجد أقل من ذلك، خاصة إذا كان هناك وعي أسري بأهمية إنفاق

الأسرة على أبنائها في الجامعة وعدم الاتكال على المنحة الجامعية، وإذا كان المستوى الاقتصادي لأسرة لا بأس به، وأيضا القرب من الجامعة السكن في المدينة، كل ذلك يقلل من الجهد والمال ويريح نفسية الطالب.

قائمة المراجع:

1- بوتقرابت رشيد (2007): ظاهرة الاهتمام باللباس عند الشباب الجامعي، دراسة ميدانية لكلبة جامعة الجزائر-جامعة بوزريعة-، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، الجزائر.

2- عبد الرزاق بو القمح (2016): الطالب الجامعي يكلف العائلة الجزائرية نفقات بـ 5 آلاف دينارا شهريا، جريدة الشروق، 03 سبتمبر 2016.

3- منيرة ابتسام طوبالي (2015): الطلبة الجامعيون بين العمل والدراسة، جريدة الحوار، 07 أكتوبر 2015.